

شرح فضيلة الشيخ

أحمد بن عمر بازمول

حفظه الله

الأستاذ المشارك بجامعة أم القرى

- ١٤٣٧\ ١٤٣٦ هـ.

ضمن دروس معهد الميراث النبوي
-تفريغ فريق صيانه السلفي-

http://meerath.nabawee.net
https://www.facebook.com/meerath.nabawee/?ref=

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمْ

الْحَمْدُ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ

أَلَا وإِنَّ أَصْدَقَ الْكَلَامُ كَلَامُ الله وَخَيْرِ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدْ ، وَشَرِّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُها وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَة وَكُلَّ بِدْعَة ضَلَالَة وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ

أَمَّا بَعْدُ:

فقد توقفنا في الأربعين النووية عند الحديث الرابع ؛ وهو ما رواه عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه – قال حدثنا رسول الله –صلى الله عليه وسلم – وهو الصادق المصدوق : "إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا نُطْفَةً ، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ ، ثُمَّ يُرْسَلُ إِلَيْهِ الْمَلَكُ فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ ، وَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: بِكَتْبِ رِزْقِهِ، وَأَجَلِهِ ، وَعَمَلِهِ ، وَشَقِيٍّ أَو سَعِيدٍ ، فَوَاَللَّهِ الَّذِي لَا إلَهَ غَيْرُهُ إنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا. وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا ."

رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ [رقم:3208]، وَمُسْلِمٌ [رقم:2643].

هذا الحديث الرابع من الأحاديث العظيمة التي يخبر فيها النبي – صلى الله عليه وسلم – عن أمر غيبي ، عن أمر غيبي ، لذى قال ابن مسعود – رضي الله عنه – حدثنا رسول الله وهو الصادق ؛ يعني أنّه – صلى الله عليه وسلم – معروف بالصدق فيما أخبر به ، والمصدوق ؛ أي الذي يُصدَّق – عليه الصلاة والسلام – فيما أَخبَر وفيما أُخبِر به – عليه الصلاة والسلام–

– لماذا قال ابن مسعود وهو الصادق المصدوق ؟

يعني أن كلامه – صلى الله عليه وسلم– صِدق وحق لا شك فيه ، صِدق وحق لا شك فيه

– لمــــــــاذا ؟

لأنّه – صلى الله عليه وسلم – لا ينطق عن الهوى ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ ﴾[1] ؛ فهو – عليه الصلاة والسلام – كما وصفه الله لا ينطق عن الهوى ، إنما يُخبر عن الله – عز وجل– عن طريق الوحي ، وهذه الكلمة من ابن مسعود لابد لكل مسلم ومسلمة أن يضعها نَصب عينيه ، أمام عينيه , خاصة في هذه الأيام ، وهذه السنوات الأخيرة التي ظهر فيها ما يعرف بالتقدم التكنولوجي , وما يعرف بالتقدم الطبي , والتقدم في أمور الفلك , والأمور هذه التي يقولون فيها العلمية الطبيعية ؛ لأن بعض النّاس قد يقف على بعض الاكتشافات فيظن أنّ هذه الاكتشافات تتصادم مع قول النبي – صلى الله

[1]) سورة النجم (4)

عليه وسلم– أو تتصادم وتتعارض مع القرآن ، ولا شك أن المسلم يقدم ما جاء في الكتاب والسنة على كل شيء ويؤمن بهما

– لمـــــاذا ؟

لأن القرآن حق , والسنة حق ، القرآن كلام الله ، أوحاه إلى نبينا – صلى الله عليه وسلم – عن طريق جبريل – عليه السلام – والسنة أيضا حق نزل بها جبريل على النبي – صلى الله عليه وسلم – ، كما مر معنا من قول حسان ابن عطية : " كنا نرى أن جبريل ينزل بالسنة كما ينزل بالقرآن "

فإذا لا ينبغي لنا أن نشك ، أو أن نرتاب ، أو أن نقارن ، أو أن نوازن ، أو أن نقول ننظر

– هل السنة تثبت بالتجربة أم لا ؟

لا هذا خطأ ؛ خطأ كبير ، ولذلك من الأخطاء التي وقع فيها للأسف حتى بعض الناس الذين لهم – يعني – تعلق بالعلم الشرعي ، أنهم يقدمون أقوال الأطباء على أقول النبي – صلى الله عليه وسلم– ، فهذا بلا شك لا يفعله العوام ، فإن العوام يؤمنون بما جاء في الكتاب والسنة ، ويوقنون بذلك ، فكيف بمن ينتسب للعلم الشرعي أن يقدّم كلام الأطباء على كلام النبي – صلى الله عليه وسلم – ، لذلك هذه قاعدة عظيمة في كل أبواب الدين وفي كل الأمور ، أخبرنا رسول الله – صلى الله عليه وسلم– ، حدثنا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وهو الصادق المصدوق .

- لمـــــــاذا ؟

لأن ما جاء به النبي -صلى الله عليه وسلم- وحي من الله ، يقين ، وأما دراسات الناس ، وأبحاثهم ، وما يفعلونه بالتجربة فهذه كلها مبنية

- على مـــــاذا ؟

على الظن ، على الظن ، ليست باليقين ، وأنا أضرب لكم مثالا سريعا على هذا ؛ لخطورة هذه المسألة ولضرورة فهمها ، أضرب لكم مثالا على هذا ؛ وبيان أن العلم الحديث يُخطئ ومبني على الظن في بعض أبحاثه وفي بعض اختراعاته واكتشافاته .

صح عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال : (إذا سقط الذباب في إناء أحدكم فليغمسه فإن في أحد جناحيه داء - مرض - وفي الآخر دواء) علاج لهذا المرض وهذه الجراثيم والبكتيريا - صح عن النبي - صلى الله عليه وسلم - والعلماء آمنوا بهذا الحديث وقالو هذا حق فإذا سقط الذباب نغمسه ثم نخرجه ونلقيه خارج الإناء ، ونشرب الإناء ولا ضرر فيه بإذن - الله تعالى- ، لكن العلم الحديث قبل عشرات السنين ، ربما قبل ثلاثين سنة تقريبا أو أكثر أو أقل كما ذكر بعض الباحثين ، اكتشف أن الذباب - في العلم الحديث - أن الذباب في الجناحين يوجد فيهما جراثيم ولا يوجد في أحد الجناحين دواء - طيب - هذا يعارض قول النبي - صلى الله عليه وسلم - ، وقول النبي أخبر به عن الله - عز وجل - فبعض العلماء أو بعض الباحثين ممن له تعلق بالعلم الشرعي قال لا هذا الحديث لا يصح ، والطب

الحديث ، هذا الحديث عن النبي – صلى الله عليه وسلم – لا يصح ، والطب الحديث دلنا على أن كلا جناحي الذباب فيه مرض ، فإذا لا نغمسه ولا نشربه ، فهنا ردوا حديث الرسول – صلى الله عليه وسلم – ، هؤلاء ردوا حديث الرسول– صلى الله عليه وسلم– ، وقدموا أقوال الطب الحديث ، ثم بعد سنوات توصل الباحثون في مجال الطب إلى المعلومة التالية :" قالوا الذباب إذا وقع في الإناء فإنه يقع على الجناح الذي فيه الداء "؛ المرض ما يقع على الجناح الذي فيه الدواء ، فإذا وقع الذّباب في الإناء الذي فيه هذا الماء ، أو الشّراب فإنّه يسقط على الجناح الذي فيه المرض ، فيخرج من هذا الجناح جراثيم وبكتيريا لا تُرى بالعين إلاّ تحت المِجهر المكبّر جدّا جدّا لهذه الأمور، ثم قالوا : " فإذا غمس الذباب في داخل الماء انفجر من الجناح الثاني مادة تقتل هذه الجراثيم والبكتريا ".

نحن لسنا بحاجة إلى أن نُخضع وأن نضَع حديث الرسول – صلى الله عليه وسلم– لتجربة الأطباء ، يصحّ أو لا يصحّ ، لأنّنا نحن نؤمن يقينا أن قوله – صلى الله عليه وسلم – كلّه حقّ ، فانظروا – بارك الله فيكم – ،كيف أن الطّب الحديث مرة أنكر ، ومرة أثبت – كما في الحديث– فإذا كان هذا في الطب الحديث المتقدم وهو قابل للخطأ وللصواب ، وقول النبي – صلّى الله عليه وسلّم – كلّه صواب

– فكيف نُخضع الصواب لأمر مُحتمل للخطأ والصواب ؟

فلا شكّ أنّنا لا نلتفت لهؤلاء ، ولذلك هنا ننبه على أمر أيضا ، وهو مهمّ ؛ أنّ بعض النّاس لا يؤمن بالأحاديث حتى يشوف الطب الحديث والعلم الحديث

- ماذا يقول عنه ؟

ولا يستسلم قلبه للحديث حتّى يرى ماذا قال الطبّ ، هذا خطأ ، خطأ كبير فالمؤمن والمؤمنة قولهما إذا دعوا إلى الله ورسوله أن يقولوا : "سمعنا وأطعنا و آمنا"

﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ [2]

هذا شأن المؤمن الإيمان ، وهذا شأن المسلم الاستسلام للدليل الشرعي ، لذلك – بارك الله فيكم – كلّ الأحاديث الصحّيحة الثّابتة عن النّبي – صلى الله عليه وسلم– موقفنا منها ؛ الإيمان ، والتسليم ، وعدم المعارضة ، وعدم الجدال ،كما مرّ معنا في أصول السنّة للإمام أحمد– رحمه الله تعالى– لذا هنا قال ابن مسعود : " وهو الصّادق المصدوق" ، ثمّ قال : أي قال النبي– –صلى الله عليه وسلم– : (إنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا نُطْفَةً) ، يعني ؛ إذا جامع الزّوج زوجته وقذف في رحمها المني ، فإنّ الله – عزّ وجلّ – إذا قضى بينهما الولد ، فإنّ الله –عز وجل– ، يُقدّر أن يجُمع من

[2] سورة البقرة (285)

ماء الرّجل ، ومن ماء المرأة ، ومما شاءه الله ، يجْمع خَلق الإنسان يُجمع فيه مبدأ خَلق الإنسان ، وخَلق الإنسان ، يمر بهذه المراحل ، ففي خلال الأربعين يوما الشّهر و عشر أيام تقريباً أربعين يوما يُجمع ، يكون نُطفة ، يكون نطفة ، و النّطفة قالوا :" هي القَطرة من المنّي " والرّجل يخرج منه المني ، و المرأة يخرج منها المني ، كما جاء عن النّبي – صلى الله عليه وسلم– أنه (إذا عَلَى ماءَ الرّجل ماءَ المرأة أَشبهَ الوَلَدُ أباهُ , و إذا عَلَى ماءَ المرأة ماءَ الرّجل أَشبهَ الولد أُمه)

فالمرأة يخرج منها ما يخرج من الرجل ، فهذا المرحلة الأولى ؛ أن يكون نُطفة قال –صلى الله عليه وسلم– : (ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ) ، أي ؛ يكون – المرحلة الثّانية– ؛ أن يكون علقة قالوا : " العَلَقة قطعة , قطعة الّدم الغليظة "

قالوا: " والعلقة في لغة العرب دودة معروفة تُرى في المياه الراكدة " فالجنين ، فالإنسان في بطن أمّه بعد أن يكون نُطفة ، يكون عَلَقة

– لماذا قيل له علقة ؟

قالوا :" لأنّه يكون معلّقا " ، هكذا ذكر بعض الباحثين ، يكون عَلَقة ؛ أي معلّقا في الرّحم ، وهذا أيضا معروف عند الأطباء ؛ أنّ هذه المدّة ، وهذه الشهور الأولى ، يكون الجنين معرضا للسّقوط ، لأنّه غير ثابت في الرّحم ،

لذلك قال النبي – صلى الله عليه وسلم– : (ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ) يعني خلال أربعين يوم .

قال :(ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ) أي أربعين يوما ، وهذه المرحلة الثّالثة ، أن يكون مُضغة والمُضغة قالوا : "هي قطعة اللّحم بقدر ما يمضغه الإنسان في فمه" ، و المراد أن المرحلة الأولى ، النّطفة في أثناء الأربعين يُجمع فيها ، ثمّ المرحلة الثّانية العَلَقة ، في أثناء الأربعين يتكون فيها ، ثمّ المضُغة في أثناء الأربعين ، يتكون فيها ، فهذه أربعون , وأربعون , وأربعون، مائة وعشرون يوما ، مائة وعشرون يوما ، أي ما يقارب ؛ أربعة شهور ، أربعة شهور

قال– صلّى الله عليه وسلّم – (ثُمَّ يُرْسَلُ إِلَيْهِ الْمَلَكُ) ؛ يعني بعد هذه المراحل الثّلاثة ومُضّي مائة وعشرون يوما ، يأتي الملَك إلى هذه المضغة فيَنفُخ فيه الروح ، يَنفُخ فيه الروح ، فتكون حينها مُخلّقة ، ونَسَمَة ، ويُعتبر ، ويأخذ حُكم الحيّ ، أمّا إن سقط قبل هذه المدّة ؛ فإنّه لا يُعتبر حيّا ؛ بل يُعتبر دَما فاسدا ، أو دما ولحما ساقطا ، لا يُعامل كمعاملة الحيّ ، لا يُعامل كمعاملة الحيّ ، قال: (ثُمَّ يُرْسَلُ إِلَيْهِ الْمَلَكُ فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ ، وَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ) ، يعني ؛ بكتابة أربع كلمات :

– الكلمة الأولى ما هي ؟

1– بكتابة رزقه

2– و الثّانية أجله

3– والثّالثة عَمله

4- والرّابعة شقيّ أو سعيد

فالرّزق هنا كل ما يَنتفع به الإنسان ، سواء كان في بدنه ، كالأكل ، والشّرب ، واللّباس ، والمسكن ، أو ما كان في دينه ؛ كالعلم ، والإيمان ، قال الشّيخ العثيمين: " وكلاهما مراد بهذا الحديث " أي الرّزق المتعلّق بالبدن ، والرّزق المتعلّق بالدّين ، فيُؤمر الملَك بكتابة رزقه ، هذا الأوّل ، ثمّ أيضا بكتابة أجله ؛ أي مدّة بقاءه في هذه الدنيا ،كم سنة ، وكم شهرا ، وكم أسبوعا ، وكم يوما ، وكم ساعة ، وكم ثانية ، لا ينقص ولا يزيد ، ولذلك هذا من الأمور التّي تُعين على الصّبر عند حُصول المصائب بالموت ، بفقدان قريب ، أو حبيب ، أن نعلم أنّ هذا أجله أنّ هذا أجله لن يستقدم ، ولن يتأخر لحظة ، لا قبل ، ولا بعد ، فإذا مات الولد ، أو مات شخص قريب ، المؤمن يعلم أنّ هذا أجله مكتوب عند الله .

مهما حاول أهل الدنيا كلهم أن يمدوا في عمره ما استطاعوا ، ومهما حاول أهل الدنيا كلهم أن ينقصوا من عمره فيقتلوه قبل أجله ما استطاعوا .

لذلك إبراهيم – عليه الصلاة والسلام– لما أرادوا أن يقتلوه فألقوه في النّار ، ولم يكن حينئذ ساعة موته ، أمر الله أن تكون النّار بردا وسلاما على نبينا ، على إمام الحنفاء إبراهيم – عليه الصلاة والسلام– ، ونبينا محمد –صلى الله عليه وسلم– كم حاولت قريش أن تقتله وتفتك به ، وكم حاولت اليهود أن تقتله وتفتك به ، ولكن الله نجاه منهم .

فلذلك هذا أمرا مهم أن نعلمه وأن نتيقنه .

أن الإنسان إذا حضر أجله لن يتأخر ، ولن يستطيع أحدا أن يميته قبل وقته ، كل بقدر .

ولذلك كم من إنسان كما ذكر العلماء ، كم من إنسان صحيح ، صحيح البدن مات من غير علة جاءوا وجدوه ميت كان واقفا فسقط فمات ما تُعرف له علَّة ، وكم من إنسان جسمه كله أمراض فيعيش حينا من الدهر – يُطَوِّل– فإذًا الموت يأتي فجأة وله أجلٌ محدود ،

فإذًا هذا الأمر الثاني الذي يكتبه الملك.

ثم أيضا يكتب الملك عمل الإنسان ، يعني ما يكتسبه من الأقوال القولية والفعلية والقلبية هي مكتوبة على الإنسان ، وعمله .

ثم الأمر الرابع ؛ يكتب أشقي هو أو سعيد ؛ يعني

– هل هو من أهل الجنّة ؟

– فيسعد .

– أم هو من أهل النار ؟

– فيكون شقيا.

فإن هذا هو الشقاء ، كما جاء في الحديث عن النبي –صلى الله عليه وسلم– : (يؤتى يوم القيامة بأنعم رجل في الدنيا فيغمس في النّار غمسا فيقال له :هل رأيت نعيما قط؟ .فيقول : لا ما رأيت نعيما قط)

هذا رجل كان من أسعد , وأغنى , وأنعم أهل الدنيا ، فيغمس في النّار يوم القيامة غمسة ؛ يعني يُدخل في النار فيُخرج ، فيقال له :

– هل رأيت نعيما قط ؟

فيقول لا ما رأيت أبدا فعذاب النّار , ولهيبها , ونارها , وحرها , وسمومها أنسوه كل نعيم رآه قبل ذلك.

ويؤتى بأبأس رجل في الدنيا فقير ، مسكين ، مريض ، مبتلى بأمور كثيرة لكنه يخاف الله فيدخل الجنة فيقال له :

– هل رأيت بؤساً قط ؟

فيقول لا ما رأيت بؤسا قط.

لأن نعيم الجنة ينسيه كل همٍّ وغمٍّ وبؤسٍ سابق .

قال الله عز وجل : ﴿ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴿١٠٨﴾) [3]

[3] سورة هود (105 – 108)

والسؤال هنا : الذي قد يتبادر في الذهن إذا كان الملك يكتب هذه الأمور ففيما العمل ؟

كما سأل الصحابة النبي –صلى الله عليه وسلم– ، فقال عليه الصلاة والسلام (اعملوا فكل ميسر لما خلق له) ، بمعنى أن عليك العمل والأخذ بالأسباب ، فإن قيل :

–ما معنى أن الملك يكتب هذه الأمور ؟

أما الرزق فهذا من عند الله هو الذي يقدره وكذا الأجل ، وأما العمل والشقي فهذا بعد إرادة الله قد جعل الله –عز وجل– لنا إرادة واختيار ، فنحن نعمل مخيرين بأن نختار طريق الخير فنفوز ، أو أن يختار الواحد طريق الشر فيخسر ،﴿فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ﴿٤١﴾﴾[4] ﴿ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾﴾[5] قالوا طريق الخير وطريق الشر ؛ ومعنى ﴿ وَهَدَيْنَاهُ ﴾ أي بَينا له طريق الخير ، وأن هذا طريق الجنّة , وأنك إذا سلكت هذا الطريق تكون في الجنّة منعماً خالداً فيها ، وأن هذا طريق النار , وأنك إذا سلكته فوقعت في الأمور التي توجب النّار من كفر ، وشرك ، وإلحاد فإنّك تكون خالدًا مخلدًا في النّار .

ثم بين له أيضا الأمور التي هي باب الذنوب والمعاصي وهي تحت المشيئة .

---

[4]) سورة الزمر (41)
[5]) سورة البلد (10)

فإذًا معنى الحديث أنّ هذا الملك يكتب عمل الإنسان ، وشقي هو ، وسعيد بما أمره الله –عز وجل– مما علمه الله –عز وجل– ، من إن هذا الإنسان سيعمل كذا وكذا وسيكون حاله كذا وكذا باختيار هذا الإنسان ﴿لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ هذا تخيير للعبد.

﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٩﴾[6] مشيئة العبد تحت مشيئة الله – عز وجل– ولا يلزم من مشيئة الله ، أن الله –عز وجل– يجبر العبد على فعل شيء معين ، فإن العبد يفعل الشيء باختياره ، ولكن ليس للعبد أن يفعل شيء متحديا لله في ملكه .

فإذا أذن الله كان الشيء وإذا لم يأذن لم يكن ، ولذلك يجب أن نؤمن بهذا الأمر ، كما مر معنا في الأصول الثلاثة ، وأن نؤمن بالقدر خيره وشره ، ومراتب القدر من العلم والكتابة والخلق والمشيئة .

فالله –عز وجل– عالمٌ بكل شيء عالمٌ بما كان في الزمن الماضي ، وعالمٌ بما سيكون في الزمن الحاضر ، وعالمٌ بما سيكون في الزمن المستقبل ، بل – سبحانه وتعالى– وهذا من علمه –سبحانه وتعالى– وهو الرب العظيم الخالق –سبحانه وتعالى– الذي لا يعزب ، ولا يخفى عنه شيء في الأرض ولا في السماء ، هو –سبحانه وتعالى– يسمع دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء ، وهو –سبحانه وتعالى– يعلم بما لم يكن لو كان كيف يكون ، وهذه عقيدة عند أهل السنة .

[6] سورة التكوير (28- 29)

أنظروا إلى قصة الخضر – عليه السلام– لما قتل الغلام وسأله موسى :" كيف تقتل هذه النفس ؟ " فبين له الخضر بعد ذلك أن الله علم أن هذا الصبي إذا كبر فإنّه سيكون عاقا لوالديه ووالداه رجلان صالحان .

فمن رحمة الله لهاذين الأبوين قدَّر على هذا الطفل أن يموت ، حيث قتله الخضر ، فالله يعلم أن هذا الطفل لو عاش سيكون عاقاً لوالديه وهذا من علم الله – عز وجل– وعلمه كامل شامل – سبحانه وتعالى–.

فلذلك لا يظن الظان من هذا الحديث أننا – يعني– لا نحتاج أن نعمل لأن كله مكتوب ؛ نقول : نعم. الله – عز وجل– كتب في اللوح المحفوظ وأمر الملك أن يكتب بما علم أنّك ستعمله يا عبدالله.

وإلا مثلا : أنا أضرب لكم مثالا :لو جئت أنا – مثلا – وأخذت من جيبك مائة ريال وقلت خلاص مكتوب في اللوح المحفوظ إني آخذ من جيبك مائة ريال

– ماذا ستقول ؟

ستقول : لا ، هذه مائتي , وتضاربني، وتأخذها مني .

– إذا لماذا لم تقل ؟

هذا مكتوب في اللوح المحفوظ إنك تأخذ مني مائة ريال ، وهذا مكتوب أنه ينقص من رزقي مائة ريال ، فأنت تسعى وتعمل للحصول على المائة هذه .

– فلماذا لا تسعى وتحصل على العمل الصالح ، وتبتعد وتترك العمل الفاسد ؟

لذلك يجب أن نفهم هذا الأمر فهما جيدا ، ولا يلبس علينا الشيطان ولا أعوانه في هذا الباب –بارك الله فيكم– .

ثم قال –صلى الله عليه وسلم – : (فَوَاَللَّهِ الَّذِي لَا إلَهَ غَيْرُهُ) يعني أقسم النبي – صلى الله عليه وسلم – بالله على أمر .

– ما هو هذا الأمر ؟

هو قوله : (إنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا)

أقسم النبي – صلى الله عليه وسلم – أن بعض الناس يعمل بعمل أهل الجنة من الصالحات حتى ما يكون بينه وبين أن يدخل الجنّة إلا أن يموت ، يكون قريبا منها ، إلاّ ذراع ، قريب منها – كما ذكر الشيخ العثيمين وغيره من أهل العلم – ولكن قبل أن يموت يعمل بعمل أهل النّار فيدخل النّار ، وإنّ الرجل ليعمل بعمل أهل النّار حتى ما يكون بينه وبين النّار إلا أن يموت ، يكون قريبا منها ، يكون بينه وبين النّار ذراع ، فيسبق عليه الكتاب ، فيعمل بعمل أهل الجنّة فيدخل الجنّة .

هذا الحديث ، هذا الحديث معناه عند أهل العلم ما جاء في رواية أخرى فيها زيادة هذه الزيادة توضح معنى الحديث ، وإلا معنى الحديث قد يكون مخيفا ، يعني : أنا أعمل الصالحات ، وأتقرب إلى الله – عز وجل – ثم قبل أن أموت أعمل بعمل أهل النّار فدخل النّار! ؟ ! ؟

وذاك فاسق فاجر وربما يكون كافر فما يكون بينه وبين النّار إلا أن يموت فيعمل بعمل أهل الجنّة فيدخل الجنّة ! ؟ ! ؟

مخيف ؛ معنى مخيف ، لكن جاءت رواية كما قال العلماء تذهب هذا الخوف ، و تدفع ذلك الإشكال .

– ما هي الرواية ؟

هي قوله – عليه الصلاة والسلام – (إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ – فِيمَا يظهر للناس) ؛ يعني في الظاهر أنّه :جواد ، منفق ، مجاهد ، مصّل ، خاشع ، مصدق – يعني يصدق أمواله يفعل يفعل – ولكن في باطنه ربما يكون مراء ، في باطنه ربما يكون غير صادق ، في باطنه قد يكون طالبا لأمر دنيوي .

فإذا ليس معناه الرجل الصالح التّقي النّقي ، إنما معناه أمثال هؤلاء ، وقد ذكر الشيخ العثيمين – رحمه الله تعالى – حديث ذاك الرجل الذي كان يقاتل مع الصحابة فأثنوا عليه أمام الرسول – صلى الله عليه وسلم – وقالوا ما رأينا مثل فلان ، فإنّه أبلى بلاء حسنا ؛ يعني كان يقتّل في المشركين والكافرين ، فقال –صلى الله عليه وسلم– : (أما إنّه من أهل النّار) فتبعه بعض الصحابة ،

فرآه !!!!

– ماذا يعمل ؟

ففي إحدى المرات هذا الرجل أصابه سهم من المشركين ، فأخذ سيفه ، ذؤابة سيفه ووضعها على بطنه ، فحمل نفسه عليها وقتل نفسه .

هذا الذي قتل المشركين ويقاتل ، ويقاتل ، انتحر، قتل نفسه ، فجاء الرجل إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – وقال : (أشهد إنّك لرسول الله ، قال : وما ذاك ؟ فأخبره الخبر) .

فإذا هذا فيما يظهر للناس ، وكذا في الرجل الفاسق الفاجر، قد يكون الإنسان عنده فجور، عنده فسق ، ولكن قد يكون فيه حب لله ، قد يكون فيه رغبة في الخير ، قد يكون فيه ندم على حاله ، ولكنه مبتلى بذنوب ، فمن رحمة الله به أن يوفقه للتوبة قبل أن يموت ، مثل ذاك الرجل الذي قتل تسعا وتسعين نفسا ممن كان قبلنا ، فسأل عن عالم ، فدُل على راهب ، ليس بعالم ، راهب ، فقال له فعلت وفعلت يا عدو الله ، فقتله كمل به المائة ، ثم بعد ذلك ندم وأراد التوبة ، فسأل عن أعلم أهل الأرض فدلوه على عالم ، فدله العالم على التوبة ، وأمره أن يخرج من أرضه ، من بلده إلى بلد أخرى ، فإن بلده فيها ناس ؛ يعني أهل فسق وفجور ، وأمره أن يذهب إلى أرض بها عباد صالحون ، وفي طريقه إلى البلد الطيبة مات ، قبل أن يصل إلى البلد الطيبة ، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب ، ملائكة العذاب تقول : هذا يعني ما تاب ، وكان فعل ، وفعل ، وفعل من الذنوب والسيئات ،

وملائكة الرحمة تقول : هذا جاء تائبا ، فنزل ملك وقال : قيسوا بين الأرضين ، فإذا كان قريب إلى الأرض الطيبة تقبضه ملائكة الرحمة ، وإذا كان قريبا من الأرض التي كان فيها تقبضه ملائكة العذاب ، جاء في بعض الروايات ، وذكر بعض الصحابة : (أن الله زوى الأرض من تحته – أي : قربه إلى الأرض الطيبة) فقبضته ملائكة الرحمة ، وهذا من سعة رحمة الله – عز وجل – ومن فضله –سبحانه وتعالى– أن هيأ له التوبة قبل مماته ، و لذلك هذا هو معنى الحديث .

أن ذاك الرجل الفاجر الفاسق في قلبه حب لله ، في قلبه ميل للخير وإرادة للخير ، ولكن ابتلي بهذه الذنوب والمعاصي ، فمن رحمة الله به أن لطف به ، وقبل أن يموت فقبضته ملائكة الرحمة.

هذا هو معنى الحديث – بارك الله فيكم –

وأيضا من فوائد هذا الحديث فائدة عظيمة جدا ، ينبغي أن نتنبه لها وهي : أن الإنسان لا يغتر بعمله ، لا يقول : أنا أصلي ، وأصوم ، وأزكي ، فيرى نفسه فوق النّاس وأن النّاس هؤلاء عصاة فجرة لا خير فيهم ، هذا خطأ ، خطأ عظيم ؛ لأنّك لا تدري يا عبد الله :

– أقبل الله عملك أم لا ؟

وإذا قبل الله منك العمل لا بد أن تحافظ عليه ، كما قال ابن قيم الجوزية – رحمه الله

تعالى – في كلام له قال : " على العبد أن يحرص على العمل في ثلاثة مقامات :

المقام الأول : قبل العمل ، فيحرص فيه على الإخلاص وعلى الإتيان بالعمل على السنة .

المقام الثاني : أثناء العمل ، فيحرص فيه أيضا – مع ما سبق – على عدم الرياء وعدم إفساده وإبطاله .

المقام الثالث : بعد العمل ، فيحفظه من الرياء ، ومن أي أمر يبطله من شرك أو رياء أو سمعة أو نحو ذلك ، ولذلك الأمر خطير ، ولذلك كان السلف يخافون ويجلون ألا تقبل أعمالهم ، أو أن ترد بعمل آخر ، فالذين وصفهم الله – عز وجل – أنهم وجلون وخائفون ، سألت عائشة – رضي الله عنها – النبي – صلى الله عليه وسلم – " هل هؤلاء هم العصاة ؟ فقال النبي – صلى الله عليه وسلم : لا ، ولكنهم الذين يصلون ويصومون وكذا ... ويخافون ألا يتقبل الله منهم " أو كما قال –عليه الصلاة والسلام– , فهذا الحديث يدل على هذا الأمر .

وكلنا يعرف أو مر عليه الحديث الذي ذكر فيه النبي – صلى الله عليه وسلم – رجلين ممن كان قبلنا ، أحدهما : صاحب طاعة ، والثاني : صاحب معصية ، فكان صاحب الطاعة إذا مر على صاحب المعصية ، ينصحه وصاحب المعصية ، وصاحب المعصية لا يستجيب .

وفي إحدى المرات قال صاحب الطاعة لصاحب المعصية وقد رآه على

المعصية ولم يستجب للطاعة قال والله لا يغفر الله لك فقال الله –عز وجل – (من ذا الذي يتألى) ؛ أي من ذا الذي يحلف (من ذا الذي يتألى علي فقد غفرت) ؛ أي صاحب المعصية ، (وأحبطت عملك) أي صاحب الطاعة .

ولذلك – بارك الله فيكم – ، يجب أن نعلم هذه الأمور ، وأن لا نغتر بعملنا ، وأن لا نستحقر الناس ، نعم نبغض المعصية ، ونبغض أصحابها ، ولكن نحمدالله على الطاعة ، ونرحمهم لحالهم ، ونقول نسأل الله – عز وجل – أن يتوب عليهم ، ولا نترفع عليهم ولا نأمن على أنفسنا أن نقع في المعصية .

هذا وفي هذا القدر كفاية في شرح هذا الحديث وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى أله وصحبه أجمعين .